ثقافة

الياس خوري

من أجل الشعر والحياة

يعود نيرودا الينا ، في مذكراته ، وكأنه مات لحظة ، ليستفيق الى الابد . فالبيت الذي نهبه الفاشيون وبداخله رجل يحتضر ، يتحول الى قصيدة جديدة ، يحفظها فقراء العالم ، وهم يمارسون باصرارهم على الحياة ، بناء حياة جديدة ، لا تستطيع الاقدام الفاشية تحطيمها . نيرودا هو الشاعر ، الذي يلخص في شعره وموته ، لحظة التقاطع بين الحلم الثوري الجميل الذي تصوغه الاغاني حين ينشدها الفقراء ، وهم ينحنون على التراب او على النحاس والممارسة الثورية التي تغير الواقع . ثم حين تنكسر تحت ضربات الضباط تنحني لتلتقط ابناءها وتعاود المسيرة . جراح الشعر ، هي جراح العمال والفلاحين والحالمين ، الذين يمسكون بأوراقهم يحولونها الى طائرات من ورق ، يحملون طفولتهم باليد التي ترسم طفولة المستقبل .

« هكذا كل يوم ، اكثر من عشرين يوما ، كنت آخذها الى النهر وأحملها الى بيتنا . كانت البجعة كبيرة ، حجمها حجمي . ذات مساء كانت غارقة في التفكير . سبحت قربي لكنها ما اهتمت بالذبابات التي أردت بها تعليمها الصيد من جديد . مكثت هادئة فأخذتها الى حضني من جديد بنية أن أحملها الى دارنا،وما أن اوشكت أن ترتاح في صدري حتى شعرت ان شريطا قد انحل . ان شيئا كأنه ذراع سوداء ، قد لمس وجهي وكشطه فالتفت واذ بعنقها الطويل الملتوي يتهاوى . آنذاك تعلمت ان البجع حين تموت لا تغني » .

يكتب نيرودا طفولته ، وكأنه يرسم مستقبله . لكن البجع حين تموت كانت اغانيها تملأ الارض . فالعمال الذين لم يسيروا في جنازة الشاعر لانهم كانوا نزلاء السجون ، غنوا اغنيات البجع الجميل وهو يموت مستسلما للارض التي أحبها ، وللحقول التي تغنى بعناصرها.فحين مات البجع من الحرقة الى جانب الوحدة الشعبية التشيلية التي دمرها الفاشيون بأقدامهم وبأسلحة اميركية ، كانت كل العصافير في فضاء التشيلي الواسع وفي سماء اميركا اللاتينية ، تردد الاغنية الثورية التي لم تكتشف جسدها ، فبقيت حول جسد غيفارا وكأنها مدخل الى بداية تغيير العالم .

ماذا يقدم النقد لمذكرات نيرودا ؟

يقف على هامشها ، ليشهد للشعر . موت نيرودا هو شهادة جديدة للشعر ، لاغاني الفرح والامل ، وهي تكتب لحظة العشق ، وترسم شريطا طويلا ، للحياة ، بتفاصيلها الجميلة ، وقد استحالت الى ذاكرة شبه جماعية . هكذا نعيش مع الشاعر في تفاصيل حياته ، لنلتقط لحظات مفتتة في الماضي ، لحياة ثقافية بالغة الغنى ، انتجت اجمل الشعر الاسباني المعاصر — لوركا ، البرتي، نيرودا ... هنا ندخل الى بيت الشاعر ، الى أشيائه الخاصة جدا ، ولا نخرج بنتيجة نهائية . فالمذكرات ، ليست اكثر من تحايل على الواقع والفن في آن . فهي توحي لنا بأنها تقدم الواقع

---

* **مذكرات بابلو نيرودا** ، ترجمة د. محمود صبح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، الطبعة الاولى ، حزيران ١٩٧٥ .